دور العربية الفصحى في دراسة العربية الجنوبية

The role of classical Arabic in the study of South Arabia

Dr. Mohammed Saleh Mohammed Abdullah
msmabdullah@kku.edu.sa
Associate Professor of Syntax and Morphology, Department of Arabic language, College of Arts and Humanities Sciences, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia, and Department of Arabic language, Faculty of Education, Thamar University, Republic of Yemen.

المستخلص :

يهدف هذا البحث إلى بيان دور اللغة العربية الفصحى وأهميتها في دراسة اللغة العربية الجنوبية، أو ما يسمى بلغة المُسْنَد، أو اللغة اليمنية القديمة، ومدى الاعتماد عليها في فك رموز العربية الجنوبية ودراسة ألفاظها بني[1]ة ودلالة وتراكيبها في مصادر دراستها مثل مجموعة المؤلفات والأبحاث التي درست نقوشها، والمعاجم التي جمعت ألفاظها، إضافة إلى بيان مدى اعتماد باحثي العربية الجنوبية في دراستها على اللهجات اليمنية الحديثة وهي لهجات عربية، وفيها الكثير من بقايا ألفاظ لغة المُسْنَد، وما يحسب لهم في استخدامهم للفصحى وما يؤخذ عليهم، وما مصادرهم التي اعتمدوا عليها من الفصحى والمحكيات اليمنية الحديثة، ومدى كفايتها في دراسة العربية الجنوبية.

الكلمات مفتاحية: العربية الجنوبية، لغة المُسْنَد، نقوش، سَبَئِيَّ، المحكيات.

1

Abstract :

This research aims to demonstrate the role of the classical Arabic language and its importance in the study of the South Arabian language, or what is called the Musnad language, or the ancient Yemeni language, and the extent of reliance on it in deciphering the symbols of South Arabian and studying its words, structure, meaning, and structures in the sources of its study, such as the group of books and research that studied its inscriptions, and the dictionaries that collected its words, in addition to demonstrating the extent to which South Arabian researchers rely in its study on modern Yemeni dialects, which are Arabic dialects, and in them many remnants of Musnad language words, and what is credited to them in their use of classical Arabic and what is criticized against them, and what sources they relied on from classical Arabic and modern Yemeni dialects, and the extent of their sufficiency in the study of South Arabian.

Keywords: South Arabian, Musnad language, inscriptions, Sabaean, dialects.

لا بد أن نشير في البداية إلى أن اللغة العربية الفصحى، واللغة العربية الجنوبية، أو ما يسمى بلغة المُسْنَد، أو اللغة اليمنية القديمة، لغتان ساميتان، وأن علاقة العربية الجنوبية بالفصحى وثيقة؛ فهي من أوثق اللغات السامية صلة بالفصحى لخصائصهما المتطابقة غالبا، أو المتقاربة أحيانا في بنية الألفاظ وخصائصها الصوتية ودلالاتها والتراكيب مقارنة بالساميات الأخرى، ولهذا شكلتا لدى الباحثين إلى جانب الحبشية التي هي فرع من العربية الجنوبية فرعا مستقلا هو الفرع السامي الجنوبي(1).

إضافة إلى اشتراك الفصحى والعربية الجنوبية دون غيرهما من اللغات السامية وتطابقهما في عدد الحروف كما سيأتي، واشتراك الفصحى والعربية الجنوبية دون غيرهما أيضا من الساميات في حرف الضاد الذي يعد « سمة من سمات العربية الشمالية والعربية الجنوبية »(2)، واشتراكا في أغلب الظواهر النحوية والدلالية والصوتية والصرفية ككثرة جموع التكسير الذي تشتركان فيها مقارنة بالساميات الأخرى.

وللعلاقة الوثيقة بين اللغتين ذهب البعض إلى أن الفصحى« هي الوريث الشرعي للعربية الجنوبية، وهي الصورة المتطورة عنها »(3). كما ذهب بعضهم إلى « أن تصنيف لغة المُسْنَد خارج نطاق لغة الضاد يخالف الواقع ولا يمثل الحقيقة »(4)، وأن « المفردات اللغوية للغة المُسْنَد هي المفردات القاموسية للفصحى في اللفظ والبناء والمعاني، وإذا ثمت فوارق فهي نادرة والنادر لا حكم له »(5).

ومن الصعب الجزم في أقدمية اللغتين العربية الجنوبية والفصحى في الظهور، أو أسبقية إحداهما على الأخرى، ولكن أغلب الباحثين يرون أن الجنوبية هي الأقدم في الظهور، بل وأن الفصحى تطورت عن الجنوبية، وأن العلاقة بينهما علاقة أصل تمثله الجنوبية بفرع تمثله الفصحى(6).

وأرى أن القول بأن العربية الجنوبية هي الأقدم في الظهور رأي وجيه؛ فعند الرجوع إلى ما وصلنا مكتوبا موثقا من اللغتين نجد أن ما وصلنا مدونا موثقا بلغة المُسْنَد حتى الآن يمتد إلى القرن السادس قبل الميلاد وما قبله، أما ما وصلنا من الفصحى مدونا ويمكن الاعتماد عليه في الحديث عن تاريخها – بحسب ما هو معلوم حتى الآن – فلا يتجاوز ثلاث مئة سنة تقريبا قبل البعثة النبوية، والمتمثل فيما يعرف بنقش النَّمارة أو حجر نَمَارَة، أو كما يعرف بنقش امرئ القيس الذي يُعتقد أنه مرحلة سابقة للعربية الفصحى، ويرجع تأريخه إلى عام 328م.

(1) انظر: تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت، ط/ 1، 1980م/244، وتاريخ اللغة والآداب العربية، لشارل بلا، ترجمة: رفيق بن وناس والطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م/296، وفي قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية، لرمضان عبد التواب، القاهرة، ط/ 2، 1403هـ، 1983م/ 301.

(2) علم اللغة العربية، لمحمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة /199.

(1) الأُصُول المرْفوضة عند النَّحْويين العرَب في ضَوْء النُّقوش المُسْنَديَّة، بحث للدكتور طارق محمد عبد العزيز النجار، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، 2009م/ 244.

(2) لغة الضاد ونقوشها المُسْنَديّة، لمحمد علي الحجري، مطابع دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، 2005م، 1/ 7.

(3) لغة الضاد ونقوشها المُسْنَديّة، مرجع سابق، 1/ 7.

(4) الأُصُول المرْفوضة عند النَّحْويين العرَب في ضَوْء النُّقوش المُسْنَديَّة، مرجع سابق/ 244.

ولا شك أن هناك ماضيا للفصحى قبل هذا التاريخ، وإن لم يصلنا مدونا كما هو الحال مع بقية الساميات، كما أن هناك ماضيا للغة المُسْنَد قبل أقدم نقش وصلنا حتى الآن، فمن المنطقي ألا تظهر اللغتان فجأة بهذا الكمال المتمثل فيما وصلنا من نقوش للعربية الجنوبية وشعر جاهلي بالنسبة للفصحى دون أن تكونا قد مرتا بمراحل سابقة.

ومما يمكن الاعتماد عليه في القول بالعلاقة الوثيقة بين الفصحى ولغة المُسْنَد - سواء تطورت الفصحى عنها أو نشأتا لغتين مستقلتين كما ذكرنا - ما يتعلق بمسائل الإعلال وقضاياه المختلفة؛ فالثابت من خلال ما وصلنا من نقوش عدم وجود الإعلال في ألفاظ العربية الجنوبية، وهو الأصل، حتى أواخر أيامها القرن السادس الميلادي حينما بدأ الانحسار الفعلي لها على ألسنة الناس مقابل الفصحى، فحتى هذا التاريخ لم يصلنا ما يشير إلى تطور في قضايا الإعلال في لغة المسند في مقابل الفصحى التي صار الإعلال قانونا عاما في ألفاظها عدا بقايا لا تذكر تدل على ماضي بعض الألفاظ وأصلها قبل أن يصيبها الإعلال، وهو ما سماه اللغويون بالأصول المرفوضة(1).

وأرى أن عدم وجود الإعلال في العربية الجنوبية لا ينهض دليلا قويا على أسبقية العربية الجنوبية على الفصحى نظرا لعدم وجود أدلة كافية على كيفية كتابة الألفاظ المعتلة ونطقها في الفصحى قبل القرن الثالث الميلادي حيث لم يصلنا شيء مدون منها قبل نقش النَّمَارَة، ولوجود بقايا لألفاظ عربية لم يصبها الإعلال والتي عدها بعض اللغويين أصولا مرفوضة تدل على ماض مستعمل كما ذكرنا فيما سبق.

وللفصحى دور كبير وأساسي في معرفة العربية الجنوبية وفك رموزها، فلولاها لما تقدمت الدراسات الحديثة في العربية الجنوبية ولما زال الغموض عن كثير من جوانبها اللغوية؛ إذ تعد الفصحى أساسا لمعرفة بعض حروف لغة المُسْنَد التي لا وجود لها إلا في الفصحى باعتبار اللغتين متطابقتين في عدد الحروف (تسعة وعشرون حرفا)، ومشتركتين في سبعة حروف لا وجود لها في اللغات الساميات الأخرى التي لا تزيد حروفها عن اثنين وعشرين حرفا في الجعزيّة (الحبشية القديمة) والعبرية، وأقل من هذا العدد في بقية الساميات(2).

ولولا معرفة هذه الحروف السبعة لظل نطق حروف الكلمات المُسْنَدية بدونها مستحيلا؛ فهذه الحروف المشتركة بين لغة المُسْنَد والفصحى هي الحلقة الأهم لمعرفة نطق الكلمات ومعرفة معانيها، فلن تفهم كلمة في العربية الجنوبية تضم حرفا من هذه الأحرف المشتركة بينها وبين الفصحى دون غيرهما من الساميات الأخرى إلا بالرجوع إلى الفصحى، ومن ثم فلولا الفصحى لما تم التوصل إلى نطق أغلب ألفاظ العربية الجنوبية ومعرفة معانيها.

وكان نطق حروف لغة المُسْنَد غير معروف للباحثين في العصر الحديث حتى قامت الرحلات الاستكشافية في القرن الثامن عشر بدراسة بعض نقوش المُسْنَد، واستطاع العالم الألماني جزينيوس W. Gesenius عام 1841م فك رموز اثنين وعشرين حرفا من تسعة وعشرين حرفا في العربية

(1) الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/4، 1999م، 2/ 349.

(2) انظر: انظر: الكتابة العربية والسامية، دراسة في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، لرمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1981م/ 121،

الجنوبية، ثم جاء تلميذه رودجر E. Rödiger ففك رموز بقية الحروف[1] التي لا شك أنه رجع في فك رموزها إلى الفصحى، فبدون الرجوع إلى الفصحى يستحيل معرفة هذه الحروف لأنها مشتركة فقط بين اللغتين.

وكانت العربية الجنوبية لا تزال مستخدمة معروفة على ألسنة الناس في اليمن حتى القرن الثالث الهجري – كما ذكر ابن جني[2] - وكان الحسن الهمداني (ت 336هـ) قد ذكر هذه الحروف ونطقها في مقابل حروف الفصحى؛ إذ كانت هذه الحروف معروفة في عهده تقرأ وتنطق كلماتها كما صرح بذلك في أكثر من موضع من كتابه (الإكليل)، ومن ذلك قوله: « قرأت في مُسْنَد بناعط : علهان ونهفان ابنا بتع بن همدان »[3]، وقوله: « وقرأت في مُسْنَد في قصر رَيْدَة ... »[4]، بل وظلت تقرأ حتى إلى عهد نشوان بن سعيد الحِمْيَري (ت 573هـ)[5].

ولهذا التطابق بين حروف الفصحى والعربية الجنوبية تم الاعتماد على الفصحى في دراسة أمور كثيرة من أهمها نطق الكلمات وتحديد الصوائت القصيرة والطويلة ونطقها في ألفاظ الجنوبية لعدم وجودها كتابيا، وهو ما عده بعض الباحثين حديثا عائقا في صعوبة نطق الكلمات في العربية الجنوبية؛ فقد ذكر بعضهم أنه لا يعرف بالضبط – باعتبار الجنوبية لغة منقرضة - كيف كان يتحدث الناس مع بعضهم بها منذ ما يقرب من ألفي عام حيث لم يكن السبئيون ينطقون حروف العلة في أبجديتهم[6]، ولكن هذا الأمر لم يعد عائقا بالرجوع إلى الفصحى.

ومع أن اللغويين القدامى لم يتنبهوا إلى العلاقة الوثيقة التي تربط الفصحى بلغة المُسْنَد لقلة معرفتهم بلغة المُسْنَد وغيرها من الساميات وعلاقتها بالفصحى، حتى ذهب بعضهم إلى أنهما لغتان مختلفتان عن بعضهما، كما في كلام أبي عمرو بن العلاء « مَا لِسَان حِمْيَر وأقاصي الْيمن الْيَوْم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا »[7] إلا أن ألفاظ العربية الجنوبية كانت مصدرا من مصادر المعاجم اللغوية القديمة؛ إذ استُشهد بها في المعاجم القديمة بأسماء مختلفة كلغة حِمْيَر ولغة أهل اليمن كما عند الخليل[8]، وابن منظور[9]، وقبلهما وبعدهما كثيرون، وما أكثر ذكر (لغة حِمْيَر) في كتب اللغة ومعاجمها القديمة، فلا يكاد يخلو معجم لغوي من ذكر ألفاظ عربية جنوبية، والتصريح بأنها حِمْيَرية أو يمنية، وبخاصة تلك المعاجم التي ألفها ناس عاشوا في بيئة اليمن، فسمعوا كثيرا من ألفاظها ونقلوها في معاجمهم كنشوان

(1) العربية في جنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام، رفعت هزيم، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 88، 2/ 327.
(2) سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1421ه، 2000م، 53/1.
(3) الإكليل، للهمداني، (الجزء الأول) تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، 1979/ 3.
(4) المرجع السابق، وانظر أيضا: ص 25.
(5) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحِمْيَري، تحقيق: حسين عبدالله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر(بيروت – لبنان)، ودار الفكر(دمشق – سورية)، ط/1، 1420ه، 1999م 4810/7.
(1) انظر: **The Sabaic Online Dictionary** https://idw-online.de/de/news658587#semanticsearch
(2) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1/ 11.
(3) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال 1/ 59، 65، 184، 222.
(4) انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ 1 (بأس)، و (دفأ).

بن سعيد الحِمْيَري في معجمه (شمس العلوم)، ناهيك عن كتب النحو واللغة والأدب وغيرها. والحديث عن العلاقة الوثيقة بين الفصحى والجنوبية بسطه كثير من الباحثين وليس من هدفنا هنا التوقف عنده.

ومن ضمن الإشارات إلى علاقة العربية الجنوبية بالفصحى عند القدماء ما ذكره بعضهم عن العلاقة بين خط الفصحى المسمى بالجَزْم وخط المُسْنَد، وأن خط الجَزْم مأخوذ عن خط المُسْنَد، ومن ذلك قول ابن جني نقلا عن أبي حاتم السجستاني (ت 255ه) « واعلم أن العرب قد سمت هذا الخط المؤلف من هذه الحروف (الجَزْم). قال أبو حاتم: إنما سمي جَزْمًا لأنه جُزم من المُسْنَد، أي أُخذ منه. قال: والمُسْنَد: خط حِمْيَر في أيام مُلكهم، وهو في أيديهم إلى اليوم وباليمن. فمعنى جُزِم: أي قُطع منه وولد عنه، ومنه جَزْم الإعراب، لأنه اقتطاع الحرف من الحركة ومد الصوت بها للإعراب »[1]، ولم يكن ابن جني كما يبدو يعرف هذا الخط. ويرى بعض الباحثين أن خط الجزم غير مأخوذ عن خط المُسْنَد وإنما عن الخط النبطي، وهو الأرجح[2].

بدأت الرحلات العلمية الاستكشافية إلى اليمن بجمع النقوش ودراستها وفك رموزها منذ منتصف القرن التاسع عشر، فكانت رحلة الفرنسي هاليفي Halévy 1872م، ثم رحلات النمساوي جلازر Glaser بين عامي 1882 – 1894م، ومولر Müller 1898م، ثم توالت الرحلات بعد ذلك. وكانت اللغتان العبرية والفصحى أساسا عندهم في دراسة الجنوبية كما يتضح في مؤلفاتهم، وكانوا يعرفون العبرية جيدا؛ فقد كان من أهداف دراستهم للعربية الجنوبية المساعدة في دراسة نصوص العهد القديم المكتوبة بالعبرية[3].

وكان لا بد من رجوعهم إلى الفصحى، وبخاصة بعدما تبين التطابق التام بين الجنوبية والفصحى في عدد حروف العربية وهو تسعة وعشرون حرفا، ومن ثم استحالة نطق ألفاظ العربية الجنوبية وفهم معانيها دون الرجوع إلى الفصحى، إلى جانب اعتمادهم أيضا على اللغات السامية الأخرى كالحبشية، وهي من الساميات الحية والساميات الأخرى المنقرضة كالآرامية والأكادية التي بدأت تتناولها الدراسات بعد تزايد نقوشها.

وكذلك الأمر عند دارسي النقوش الأجانب منذ بداية القرن العشرين وأشهرهم روسيني Rossini وماريا هوفنر Höfner وجام Jamme وبيستون Beeston وغيرهم، ثم جاءت مشاركة بعض الباحثين العرب في دراسة العربية الجنوبية من خلال بعثات علمية ميدانية قام بها بعضهم إلى اليمن كخليل نامي في عام 1936م، وأحمد فخري في عام 1947م اللذين أضافا إلى هذه الدراسات وبخاصة أنهما من متحدثي الفصحى كلغة أم.

أما الباحثون اليمنيون فجاء دورهم غالبا في دراسة العربية الجنوبية متأخرا بعد النصف الثاني من القرن العشرين، وكان لهم دور في إثراء دراسات العربية الجنوبية، كونهم متكلمين للفصحى واللهجات اليمنية الحديثة أيضا. ومما يحسب لهم في دراسة العربية الجنوبية الرجوع إلى المحكيات اليمنية لهجاتهم التي يجيدونها المليئة ببقايا الألفاظ المُسْنَدية، مما مكنهم من معرفة كثير من الألفاظ

(5) سر صناعة الإعراب، مرجع سابق 53/1. وانظر: لسان العرب 12/ 98 (جزم).

(1) انظر: الكتابة العربية والسامية، دراسة في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، مرجع سابق/ 121، 122.

(2) تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق/146، ولغة الضاد ونقوشها المُسْنَديّة، مرجع سابق2/ 712.

المُسْنَدية التي لا زالت مستخدمة في المحكيات اليمنية المعاصرة، فكان للعاميات اليمنية في أبحاثهم ودراساتهم دور في فهم كثير من ألفاظ العربية الجنوبية التي بقيت على ألسنة الناس ولم ترد في معاجم الفصحى والتي عُدت ألفاظا يمنية خاصة، وقد توالى ظهور كثير من الأبحاث التي تناولت دور هذه العاميات في دراسة الجنوبية.

ومن أهم هؤلاء الباحثين اليمنيين محمد عبدالقادر بافقيه، وزيد بن علي عنان، ومطهر الإرياني وغيرهم. ولعل أبرزهم في الرجوع إلى العاميات اليمنية لدراسة العربية الجنوبية مطهر الإرياني كما في كتابه (نقوش مُسْنَدية وتعليقات)، وكما في معجمه (المعجم اليمني في اللغة والتراث) الذي اعتنى فيه ببيان الأصول المُسْنَدية لكثير من الألفاظ العامية اليمنية المعاصرة

أما أغلب الأبحاث التي تناولت العربية الجنوبية؛ فقد كانت في عمومها عبارة عن دراسات مقارنة بين العربية الجنوبية والفصحى، وقامت في أساسها على دراسة وفهم ألفاظ العربية الجنوبية في ضوء الفصحى، أو العكس أيضا؛ أي تأثيل ألفاظ الفصحى في ضوء العربية الجنوبية، أو دراسة الظواهر اللغوية في الجنوبية وتفسيرها في ضوء الفصحى ومقارنة بها أو العكس أيضا، أو حل بعض القضايا الخلافية بين اللغويين في الفصحى في ضوء الفصحى.

ولي مجموعة أبحاث مقارنة بين اللغتين منها ما يتناول تأثيل الألفاظ، كما في بحث بعنوان (صيغ جموع التكسير في العربية الجنوبية دراسة مقارنة مع العربية الفصحى)[1]، وبحث بعنوان (مجيء لام الفعل المعتل الآخر بصورتين، دراسة مقارنة بين لغة المُسْنَد والعربية الفصحى)[2]، وبحث بعنوان (دور المعجم السبئي في بناء المعجم التاريخي العربي)[3]، وبحث بعنوان (قضايا الهمزة والألف في العربية الجنوبية دراسة مقارنة مع العربية الفصحى)[4]، ومنها ما يتعلق بحل بعض قضايا الخلاف اللغوي في الفصحى بين اللغوين القدامى في ضوء العربية الجنوبية مثل بحث (الخلاف النحوي في بعض قضايا الإعلال والإبدال في ضوء النقوش المُسْنَديَّة)[5].

وهذا النوع من الدراسات المقارنة بين الفصحى والعربية الجنوبية إما دراسة للأصل – إذا ما اعتبرنا العربية الجنوبية أصلا كما ذهب كثير من الباحثين - في ضوء الفرع العربية الفصحى، أو ما يسمى بالعربية الشمالية، وإما دراسة للفرع العربية الفصحى في ضوء الأصل العربية الجنوبية كما في بعض الأبحاث التي تناولت بعض الظواهر اللغوية في الفصحى في ضوء النقوش المُسْنَديّة.

وإذا ما طالعنا مجموعات نقوش العربية الجنوبية؛ أي الكتب التي جمعت نقوش العربية الجنوبية، وفكت رموزها ودرستها، وهي عديدة، منها لباحثين أجانب، ومنها لباحثين عرب، فسنجد اعتمادها الأساسي على الفصحى في فهم العربية الجنوبية، ومن أهم هذه المجموعات على سبيل المثال مجموعة نقوش ألبرت جام (نقوش سَبَئيَّة من محرم بلقيس) Sabaean Inscriptions from Bilqis Mahram التي تعد من أهم الدراسات التي تناولت مجموعة كبيرة من نقوش العربية الجنوبية.

(1) بحث منشور بمجلة تأصيل العلوم، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، السودان، 2020م.
(2) بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر، 2022م.
(3) بحث منشور بمجلة آداب الحديدة ، جامعة الحديدة، اليمن، 2023م.
(4) بحث منشور بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2021م.
(5) بحث منشور بمجلة كلية التربية جامعة عين شمس (القسم الأدبي)، مصر، المجلد (18)، العدد (3)، 2012م.

ولم يصرح ألبرت جام غي مجموعته هذه في حدود اطلاعي عن أهمية الفصحى ومكانتها في دراسة العربية الجنوبية، ولكن اعتماده على الفصحى في دراستها كان أساسيا وواضحا؛ فقد رجع مثلا إلى الفصحى في مجموعته هذه لفهم بنى ألفاظ لغة المُسْنَد ونطقها ودلالتها وأوزانها، وبخاصة الكلمات المعتلة التي استند في بيان نطقها أساسا على الفصحى في أكثر من ست مئة وسبعين موضعا كما تَتَبَّعتُها، بينما لم يرجع في مجموعته هذه إلى العبرية مثلا التي أتت في المرتبة الثانية بعد الفصحى إلا في ستين موضعا تقريبا كما تتبعتها، وحتى عندما استشهد بالعبرية كان يذكرها بعد العربية[1]، فكانت الفصحى أساسا مهما في دراسته، وكان مصدره الأساسي في الرجوع إلى الفصحى معجم E. W. Lane, Arabic-English Lexicon (8 vol.),1867. وهو قاموس عربي إنجليزي.

كما رجع ألبرت جام في مجموعته هذه أحيانا إلى المحكيات اليمنية المعاصرة، وهي لهجات عربية، وفيها الكثير من بقايا لغة المُسْنَد التي وجدها فيها؛ ومن هذه المحكيات ما سماه باليمنية الحديثة modern Yemeni [2]، والصنعانية الحديثة [3]، وكان مصدره فيها مرجع لروسي Rossi اسمه بالإيطالية L'arabo parlato a $an'a', Rome (اللغة العربية المنطوقة في صنعاء)[4]، والحضرمية الحديثة modern hadr rys، ومرجعه فيها مؤلف للاندبرج اسمه (حضرموت Landberg, hadramout, Leiden, 1901)[5].

وكان اعتماد الباحثين في لغة المُسْنَد من اليمن أو من خارجها على الفصحى في دراسة العربية الجنوبية أساسيا، ونادرا ما رجعوا في أبحاثهم إلى اللغات السامية، كما هو الحال عند مطهر الإرياني في مجموعته (نقوش مُسْنَدية وتعليقات) الذي اعتمد فيها كليا على الفصحى إلى جانب العاميات اليمنية، وكذلك محمد علي الحجري الذي ذهب أيضا إلى أنه لا اختلاف بين لغة المُسْنَد والفصحى، وإن اختلفت كتابتهما، وأن « المفردات اللغوية للغة المُسْنَد هي المفردات القاموسية للفصحى في اللفظ والبناء والمعاني، وإذا ثمت فوارق فهي نادرة والنادر لا حكم له »[6]. كما ذهب إلى « أن تصنيف لغة المُسْنَد خارج نطاق لغة الضاد يخالف الواقع ولا يمثل الحقيقة »[7].

وكان اعتماد معاجم لغة المُسْنَد على الفصحى اعتمادا أساسيا، فبدون اعتمادها عليها ما كان لها أن توجد أو تتقدم، وفي مقدمتها المعجم السَبَئِيَّ Sabaic Dictionary الذي وضعه أربعة من علماء العربية الجنوبية، ومعجم العربية الجنوبية القديمة، اللهجة السَبَئِيَّة Arabic, Sabaean Dialect

(1) انظر: A.Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, The Johns Hopkins University Press, Baltimore,1962, 216,230.

(1) انظر: A.Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis,35.144.

(2) انظر: A.Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis,71,97,114.

(3) انظر: A.Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis,35.410.

(4) انظر: A.Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis,53.55,71,91,108.

(5) لغة الضاد ونقوشها المُسْنَديّة، مرجع سابق، 1/ 7.

(6) المرجع سابق، 1/ 7.

Dictionary of old south الذي ألفه جون بيلّا Joan Biella، والمعجم السبئي المتوافر على شبكة النت Sabaic Online Dictionary

اعتمد المعجم السَبَئيَّ Sabaic Dictionary على الفصحى اعتمادا أساسيا، والفصحى إحدى لغات المعجم الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية، فلم تكن الفصحى لغةَ ترجمةٍ ترجمت إليها الألفاظ السَبَئيَّة، كما هو الحال في ترجماتها إلى الإنجليزية والفرنسية، وإنما لغة كاشفة لبنى الألفاظ المسندية ودلالاتها، فللكلمات المسندية مقابل ونظير لفظا ومعنى في الفصحى، وأغلب الألفاظ السَبَئيَّة هي ألفاظ الفصحى نطقا ومعنى، وهذا واضح من تطابق أكثر الكلمات السَبَئيَّة مع نظائرها في الفصحى بنية ودلالة.

وقد وضح واضعو المعجم السَبَئيَّ منهجهم في الرجوع إلى الفصحى؛ فذكروا أنه تم الرجوع إلى ألفاظ الفصحى في تحديد معاني الكلمات السَبَئيَّة، وبيان الزيادات الإيضاحية؛ حيث تم الاعتماد على الألفاظ العربية الأساسية الشائعة الاستعمال حاليا في مختلف الأقطار العربية إلى جانب بعض ألفاظ الفصحى المهجورة، أو شبه المهجورة بحسب كلامهم[1].

كما اعتمد جون بيلّا Joan Biella في معجمه (معجم العربية الجنوبية القديمة، اللهجة السَبَئيَّة Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect) على الفصحى اعتمادا أساسيا؛ فأشار إلى أن العربية الفصحى Classical Arabic هي المرجع الأساسي في معجمه في تفسير ألفاظ السَبَئيَّة وتأصيلها، وذكر أنه عندما يوجد للكلمة السَبَئيَّة نظير واضح في العربية الفصحى، فإنه يتم الرجوع إليها والاستدلال فقط بها، إلا إذا كانت كلمات اللغات الأخرى مفيدة لفهم الفروق الدقيقة للألفاظ السَبَئيَّة فيتم الرجوع إلى الصيغ والألفاظ المناظرة أو المماثلة لألفاظ السَبَئيَّة في هذه اللغات التي لها علاقة بها[2].

و قد سار عمليا على هذا النهج؛ فمعجمه قائم على الفصحى في فهم معاني الكلمات السَبَئيَّة وتأصيل بنيتها من خلال المقارنة والمناظرة بينها وبين ألفاظ الفصحى، ونجده يذكر الفصحى غالبا أولا عند المقارنة ويستشهد بها، وقليلا ما يستشهد باللغات السامية الأخرى، ولولا الفصحى لما تمكن من دراسة أغلب بِنَى الكلمات ومعانيها.

ومن صور اهتمامه بالفصحى في معجمه اعتماده في معرفة نطق الأفعال في لغة المُسْنَد بتصاريفها المتنوعة والمختلفة على نظرائها في الفصحى؛ فنجده مثلا يستعين على نطق الأفعال في لغة المُسْنَد بنطقها في الفصحى؛ فيورد هذه الأوزان مثلا (فَعَّل – أَفعَل – فاعَل – انفعل – استفعل – افتعل- تفعَّل – تفاعل)[3]، وهذا هام، وبخاصة في نطق كثير من الأفعال في لغة المُسْنَد التي لا يظهر على حروفها كتابيا التشديد (تضعيف الحرف)، فالتضعيف بتشديد الحرف موجود في لغة المُسْنَد لكن كتابته غير منتظمة؛ ففي بعض النقوش يظهر التضعيف بتكرار الحرف كتابيا، وأحيانا لا يظهر في

(1) انظر: المعجم السَبَئيَّ، مرجع سابق / 11.

(2) انظر: Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect,7.

(1) انظر: Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect,7.

الكتابة[1]، أو حروف المد مما يحتمل نطقها بأكثر من وجه، وبالطبع بمقارنة هذه الأفعال بها في الفصحى يمكن توقع النطق الصحيح أو المتنوع لها، ولذلك ذكر بيلّا أن الفعل البسيط simple verb (فعل) في السبئية يمكن أن يكون نطقه بناء على الفصحى (فعل – فعَّل – فاعل) إذا ما راعينا الاحتمالات المختلفة لنطق هذا الفعل بالتضعيف أو بدونه، أو بمراعاة وجود حرف مد، وحروف المد كما نعرف لا تكتب في لغة المسند[2].

اعتمد بيلّا في معجمه على معجم ثنائي اللغة عربي إنجليزي وضع في لبنان مع نهايات القرن التاسع عشر (طبع عام 1899م)، وهو معجم مدرسي كبير أريد له – كما ذُكر في مقدمته -أن يكون قاموسا شاملا بما فيه الكفاية ليكمن الطلاب من قراءة الأعمال الرئيسية الأدبية والشعرية[3]. ولم يذكر بيلّا في مقدمة معجمه سبب اعتماده على هذا المعجم دون غيره مع أنه معجم قديم، وهناك ما هو أحدث منه حين وضع معجمه وطبعه عام 1982م. ومن اهتمام بيلّا بالفصحى واعتماده عليها أنه يقدمها في الاستشهاد على غيرها من اللغات، ونادرا ما يقدم غيرها من اللغات السامية كالعبرية[4].

ولا يختلف المعجم السبئي الإلكتروني The Sabaic Online Dictionary عن المعجمين السابقين في عدّ الفصحى لغة أساسية لتفسير ألفاظ العربية الجنوبية، ويبدو هذا واضحا من خلال كثرة استخدامها والرجوع إليها في التأصيل والمقارنة مقارنة بغيرها من اللغات السامية. وقد اعتمد المعجم السَبَئيَّ الإلكتروني أيضا على معجم واحد (عربي ألماني) وهو H. Wehr, Arabic dictionary for the written language of today. Arabic - German.

وكانت العامية اليمنية والعربيات الجنوبية الحديثة مرجعًا للمقارنة والموازنة والتفسير لألفاظ السَبَئيَّة في المعجم السبئي الإلكتروني، ومن مصادر هذه اللهجات في المعجم كتاب Behnstedt 1992, P. Behnstedt, Die nordjemenitischen Dialekte. Teil Glossar. Alif - Dāl, Wiesbaden [5].

يؤخذ على معاجم العربية الجنوبية الثلاثة السابقة؛ المعجم السبئي، ومعجم بيلّا، والمعجم السبئي الإلكتروني أنها لم تعتمد على أي معجم من المعاجم القديمة للفصحى كالعين، ولسان العرب، ومقاييس اللغة، وغيرها، وكذلك الأمر في مجموعات النقوش التي وضعها الأجانب؛ إذ لم يكن من مصادرهم معجم قديم للفصحى.

(2) انظر: قواعد النقوش العربية الجنوبية (كتابات المُسْنَد)، لألفرد بيستون، ترجمة: رفعت هزيم، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، إربد، الأردن، 1995م/ 31.

(3) انظر: Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect,7.

(4) انظر: الفوائد الدرية في اللغتين العربية والإنجليزية، لأحد الآباء اليسوعيين، المركز الكاثوليكي، بيروت، لبنان، 1899م / 11.

(5) انظر: Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect,45,67,87.

(1) انظر: The Sabaic Online Dictionary

http://sabaweb.uni-jena.de/Sabaweb/Bibliographie/Bibliographie

ومع أن هذا خلل كبير يحسب على هذه المؤلفات إلا أن السبب في ذلك أن مؤلفيها أجانب لا يجيدون الفصحى إذا ما استثنينا محمود الغول أحد واضعي المعجم السبئي، وأن هذه المعاجم اعتمدت أساسا على مجموعات النقوش المجموعة المدروسة وأغلبها لأجانب لغاتهم الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات الأجنبية، وأصحاب هذه المجموعات بدورهم لم يرجعوا إلى معاجم الفصحى القديمة.

وكان من نتائج ذلك أن أصحاب معاجم العربية الجنوبية والمؤلفات لم يجدوا فيما رجعوا إليه من مصادر حديثة للعربية الفصحى ما يدل على بعض الكلمات الجنوبية من حيث أبنيتها أو معانيها، فنجدهم يتوقفون أحيانا عند بعض الكلمات المُسْنَدية، وربما يخطئون في فهم معناها، أو تحليل بنيتها، كما فعل بيلّا عند الحديث عن كلمة (دثأ) ومعناها فصل من فصول السنة بالحِمْيَرِيّة مثل كلمتي (قِيَاض، وصِرَاب) في الحِمْيَرِيّة؛ حين ذكر أن معناها في العبرية (dese) بمعنى: أعشاب طازجة، كما ذكر أنها في اليمنية الحديثة Modyem بمعنى حصاد الربيع (spring harvest)[1]. وهذا صحيح، ولم يذكر هذه الكلمة في الفصحى مع أنها موجودة؛ فلو رجع إلى لسان العرب مثلا لوجد هذه الكلمة بهذا المعنى الموجود في اليمنية الحديثة[2]، وقد يذهب البعض إلى تلمس معاني هذه الكلمات ومقابلاتها في بقية اللغات السامية. ولم تورد معاجم العربية الجنوبية أحيانا مقابلا لبعض الكلمات مبنى ومعنى في الفصحى أو حتى العبرية، وبالذات في الكلمات التي ظلت يمنية خالصة مثل كلمة (وَثَن) التي تعني حَجَر يُوضع للتحديد بين قطعتي أرض [3].

واعتمدت الكتب التي درست قواعد العربية الجنوبية اعتمادا كبيرا وأساسيا على الفصحى وقواعدها، صوتا وصرفا ونحوا، وما يتعلق بذلك من بيان اشتقاق الألفاظ وتصاريفها وأوزانها، ومن أبرز هذه الكتب وأكثرها تداولا بين الباحثين كتاب بيستون (قواعد النقوش العربية الجنوبية، كتابات المُسْنَد) المترجم إلى العربية. ولسنا في حاجة إلى تفصيل الكلام عن مدى اعتماده على الفصحى في فهم قواعد العربية الجنوبية؛ فمن يطالع كتابه هذا يجد ذلك أساسيا في جميع مباحث الكتاب؛ عند الحديث جذور الأفعال والأسماء، وأوزان الأفعال وتصاريفها، وتركيب الجملة، وأزمنة الأفعال، وأبنية الأسماء المشتقة، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والإعراب، والعدد، والضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات الشرط، وحروف النفي والعطف، والإفراد والتثنية والجمع، وغير ذلك؛ ففي كل ما سبق نجد الفصحى هي الأساس والمرجع في التفسير والتأصيل والتأثيل للعربية الجنوبية.

(1) انظر: Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect, Joan Copeland Biella Harvard Semitic Studies, Chico, CA: Scholars Press, 1982,99.

(2) انظر: لسان العرب، مرجع سابق (دثأ).

(3) انظر: المعجم السبئي، مرجع سابق /210، Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect,

313.

النتائج:

خرج البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات من أهمها:

1- اعتمدت الدراسات والأبحاث التي تناولت العربية الجنوبية وأيضا مجموعات نقوش العربية الجنوبية على الفصحى اعتمادا أساسيا، فلولا اعتمادها على الفصحى ما تقدمت خطوة.
2- لم تعتمد معظم دراسات العربية الجنوبية على معاجم الفصحى الأساسية القديمة، ونتج عن ذلك أنها توقفت في فهم بعض بنى الكلمات في العربية الجنوبية ودلالتها، أو أخطأت في دراستها.
3- كانت الفصحى اللغة الأساسية التي رجعت إليها المعاجم السَبَئيَّة في تفسير بِنَى الكلمات ومعانيها ودراستها.

ويوصي البحث بأهمية مراجعة مواد معاجم العربية الجنوبية في ضوء معاجم الفصحى القديمة، والاهتمام بالمحكيات اليمنية، كونها لهجات عربية مليئة بألفاظ العربية الجنوبية.

المراجع العربية:

1- الأُصُول المرْفوضة عند النَّحْويين العرَب في ضَوْء النُّقوش المُسْنَديَّة، لطارق محمد عبد العزيز النجار، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، 2009م.

2- الإكليل، للهمداني، (الجزء الأول)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، 1979م.

3- تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت، ط/ 1، 1980م.

4- تاريخ اللغة والآداب العربية، لشارل بلا، ترجمة: رفيق بن وناس والطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

5- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/4، 1999م.

6- سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1421ه، 2000م.

7- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحِمْيَرِي، تحقيق: حسين عبدالله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر(بيروت – لبنان)، ودار الفكر(دمشق – سورية)، ط/1، 1420ه، 1999م.

8- طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

9- العربية في جنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام، لرفعت هزيم، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 88.

10- علم اللغة العربية، لمحمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

11- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية، لرمضان عبد التواب، القاهرة، ط/ 2، 1403هـ، 1983م.

12- الفوائد الدرية في اللغتين العربية والإنجليزية، لأحد الآباء اليسوعيين، المركز الكاثوليكي، بيروت، لبنان، 1899م.

13- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

14- الكتابة العربية والسامية، دراسة في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، لرمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1981م.

15- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

16- لغة الضاد ونقوشها المُسْنَدِيّة، لمحمد علي الحجري، مطابع دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، 2005م.

المراجع الإنجليزية:

1- A.Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, The Johns Hopkins University Press, Baltimore,1962.

2- The Sabaic Online Dictionary.

3- Joan Copeland Biella, Dictionary of old south Arabic, Sabaean Dialect, Harvard Semitic Studies, Chico, CA: Scholars Press, 1982.